10me Année No. 495

Lundi - 28 - 12 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ عن العدد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٩٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ ذو الحجة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــرس

صفحة

١١٧٣ التلبـــاني ... ... : الأســـتاذ عباس محمود العقاد

١١٧٦ ديوان حافظ إبراهيم ... : الدكتور زكى مبارك ... ...

١١٨٠ العيـــد .. .. : الأستاذ محمد عرفة ... ...

١١٨١ خزانة الرءوس فى دار الخلافة العباسية ببغداد ... : الأستاذ ميخائيـــل عواد ...

١١٨٣ ألحان الشاطئ [قصيدة] : الأستاذ محمد عبد الرحيم إدريس

١١٨٤ حول التلبـــاني ... ... : الأديب إبراهيم محمد نجا . .

١١٨٤ حول كتاب ديكارت ... : الأســـتاذ عثمان أمين ...

١١٨٥ « « « ... : الأديب زكريا إبراهيم ...

١١٨٥ فى أزهار الرياض ... ... : (ابن المقفع) ... ...

« « « ... ... : الأديب عبد الله الصاوى ...

١١٨٦ بنو أميـــة وحكم الشورى والعـــدل ... ... : الأستاذ محمود أبو رية ...

١١٨٦ هل الأنصار من قريش؟ : الأديب خالد عبد المنعم ...

١١٨٧ فهـــرس موضـــوعات الســـنة العاشرة ... ...

٢ ـ التلبـــاني

للأستاذ عباس محمود العقاد

كثر الذين حادثونى أو كتبوا إلىّ بصدد مقالى عن « التلبـاني » الذى نشرته الرسالة فى عدد مضى ؛ وبدا لى من أحاديثهم ومن رسائلهم أن بعضهم فهم المقال كما أردت أن يفهم ؛ وبعضهم تجاوز به إلى الحد الذى أريده . وقد استزادنى أناس من الكتابة فيه ، وسألنى أناس غيرهم أسئلة يقترحون الإجابة عليها . وأحسبنى ألبى مقترحاتهم جميعاً بما آثرت من الإجابة عن خطاب كتبه إلىّ صديقنا الأستاذ محمد شاهين حمزة نائب الدر السابق ولخص فيه ما قرأه تمثيلاً لأمثال هذه الحوادث — حوادث التلباني — فقال :

« ... ذكر بعض العلماء أن الأجسام تصدر منها أثناء حركتها الآلية إشارات ورسائل تنطلق على أمواج الأثير كأنها محطات الإصدار فى اللاسلكى ، وهذه الرسائل التى تشير إلى شخصيات مصدريها وتحمل بعض أفكارهم تهز مراكز خاصة فى أدمغة من لهم سابق معرفة بأصحابها أثناء انطلاقها ، فتلتقطها هذه وكأنها محطات الاستقبال تقابل محطات الإصدار الأولى ، وكأن لكل إنسان محطتين أو جهازين للاصدار والاستقبال . ولما كانت هذه الرسائل متفاوتة القوى كانت هنالك رسائل تصدر ميتة أو ضعيفة فلا تصل إلى أحد ، وأخرى تصدر قوية لكن

ضعفاً أو خللاً فى محطة الاستقبال يحول دون تلقيها »

ثم سألنى الأستاذ رأيى فى هذا وختم خطابه قائلاً :

« نقطة أخرى أحسبها تحتاج إلى جلاء علمى هى : كيف بلغ صوت عمر بن الخطاب سارية وصحبه حين ناداهم بقوله : « يا سارية بن حصن . الجبل الجبل ! فاستجابوا له ؟ »

* * *

ومن اللازم فيما أرى أن أبدأ بتقرير الحد الذى يكفينا أن نقف عنده فيما يرجع إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وملكة التلباثى أو التلفزيون

فقد أردنا أن نذكر علامات العبقرية عند بعض النفسانيين المحدثين ، ومنها « الحساسية » الخاصة التى تلاحظ على بعضهم فيشتهرون بالغرابة فى إيحاء الأفكار واستيحائها ، وقلنا إن عمر بن الخطاب قد لوحظت عليه من ذلك علامات كثيرة كالفراسة وصدق الظن وسرعة التنبه إلى الفوارق الدقيقة بين المذوقات كما تنبه إلى الفارق بين لبن ناقة ولبن ناقة أخرى ، وكلتاهما فى مكان واحد ومرعى واحد

ومما روى عنه حديث سارية الذى أشرنا إليه . وقد لخصناه وقلنا بعد تلخيصه : « لا داعى للجزم بنفى هذه القصة استناداً إلى العقل أو إلى العلم أو إلى التجربة الشائعة : فإن العقل لا يمنعها ، والعلماء النفسانيون فى عصرنا لا يتفقون على نفيها ونفى أمثالها »

ثم عقبنا على ذلك قائلين : « إن المهم من نقل هذه القصة فى هذا الصدد أن عمر كان مشهوراً بين معاصريه بمكاشفة الأسرار الغيبية إما بالفراسة أو للظن الصادق أو الرؤية أو النظر البعيد ، وهى الهبات التى يلحقها بالعبقرية علماء العصر الذين درسوا هذه المزية الإنسانية النادرة وراقبوها »

فسواء صحت قصة سارية أو صح جزء منها أو لم يصح شىء منها على الإطلاق ، فيكفى أن تروى عن عمر بين معاصريه ، ليثبت لنا أمر محقق لا شك فيه ، وهو أن « الحساسية الخاصة » كانت ملحوظة فيه حتى نسب إليه الناس ما نسبوا من رؤيته جيش سارية على البعد ونداءه عليه . فهو قبل أن تقع هذه القصة كان من أصحاب « الحساسية الخاصة » التى يلحظها من حوله وينسبون إليها الحوادث التى تناسبها

وهذه وحدها علامة كافية من علامات العبقرية ، ولا حاجة معها إلى تحقيق نداءه على سارية واستماع سارية له كما جاء فى القصة الرواية أو على نحو يقاربها

فهو فى رأى من حوله رجل يحس الأشياء التى لا يحسونها ، ويملك القوى النفسية التى لا يملكونها ، وهذا كاف لاتصافه بعلامة بارزة من علامات العبقرية فى رأى النفسانيين المحدثين

وهنا نحن على « بر الأمان » الذى لا مجازفة فيه ، ولا يكلفنا كثيراً ولا قليلاً فى التعرض للتلباثى بالنفى والإثبات

ولكننا إذا تجاوزنا هذا وتعرضنا لتحقيق التلباثى للحكم بإمكانها أو استحالتها ، فنى وسعنا أن ننتقل من بر أمان إلى بر أمان مثله لا مجازفة فيه ، وهو مطالبة الذين يجزمون باستحالتها بالدليل على ما يقولون

لأن الجزم باستحالة شىء بغير دليل كالجزم بوقوعه عياناً بغير دليل ، كلاهما خرافة لا يقبلها العقل ، وإن جاء أحدهما من ناحية الإثبات

وإنما الموقف السليم بين الإنكار والقبول أنك تترك الباب مفتوحاً لمن يثبت وبنفى على السواء ، فيجوز أن يأتى غداً من يثبتها ثبوتاً قاطعاً لا شك فيه ؛ ويجوز كذلك أن يأتى غداً من ينفيها نفياً قاطعاً لا شك فيه ، ولا يجوز — حتى ذلك اليوم — أن نقطع باستحالتها على وجه من الوجوه . وكل ما امتنع القول باستحالته فهو معلق بالممكنات ، ولا سيما إذا كثرت بيننا مشبهاته وشاع بيننا على درجات دون درجته القصوى ، باتفاق الشعور بين ألوف من الناس

يسألنى الأستاذ شاهين : « كيف بلغ صوت عمر سارية وصحبه فاستجابوا له ؟ »

فالجواب المأمون هنا أننى لا أعلم ولا أجزم بأن الصوت وصل واستجيب ، ولا أجزم كذلك بأنه ممتنع الوصول والاستجابة

ولكننا إذا قلنا بوصوله واستجابته فإنما يتصور العقل وقوع ذلك على صورة من صور ثلاث :

الأولى : أن للصوت الذى سمعه سارية كان صوتاً مادياً يبلغ الأسماع كما يبلغها اليوم صوت المتكلم فى المذياع على مسافات بعيدة

والصورة الثانية : أن الصوت وصل بالإيحاء النفسى إلى الجيش كله فانتفت نفوسهم جميعاً فى لحظة واحدة على الاتجاه والاستيحاء والسماع

والصورة الثالثة : أن الصوت وصل بالإيحاء النفسى إلى سارية وحده أو إلى سارية ومن شاركه فى هموم القيادة ، فشعر به فرد واحد أو أفراد قليلون

وأسهل هذه الصور الثلاثة قبولاً في العقل ، على ما نعتقد ، هي الصورة الثالثة ، وهي أن سارية توجه بنفسه إلى نفس عمر في مأزق شديد عليه وعلى عمر معاً فشعر به الخليفة وناداه وهما في لحظة التقابل بالوحي والاستيحاء

هذه الصورة أسهل قبولاً من الصورتين الأخريين

لأن الصورة الأولى وهي انتقال الصوت المادي مئات الأميال بغير الوسائل الصناعية التي نستخدمها في عصرنا يكلفنا أن نطبع العناصر المادية بطابع لم تعرف به قط فيما مضى وفيما حضر ، ويقتضي أن يكون صوت سارية قد سُمع في الجيش الذي معه وهو يستغيث ، وقد سمع في المسجد الذي كان عمر يخطب فيه ، وقد سُمع الصوتان : صوت الاستغاثة وصوت الاستجابة على طول الطريق ، ولم يذكر لنا رواة القصة شيئاً من ذلك ، ولو ذكروه لتحدث به الألوف من جند سارية ومن المصلين مع عمر ولم يقتصر حديثه على بشير واحد أو نفر قليلين

أما الصورتان الأخريان فكلتاهما تمثل لنا وصول الصوت أو وصول الخاطر على الأصح بطريق الإيحاء من نفس عمر إلى نفوس سامعيه ، ولكن التقاء نفسين أيسر قبولاً من التقاء نفس واحدة من جانب ، وألوف النفوس من جانب آخر ، ولهذا قلنا إن التقاء الشعورين بين عمر وسارية أسهل الصور الثلاث قبولاً ، متى قلنا بوقوع الاستغاثة ووقوع الاستجابة

والأستاذ شاهين قد سأل في خطابه سؤالاً يشتمل على بعض الجواب الذي أجبناه حيث قال :

« إذا كان الأمر أمر رؤية بعيدة فهل تقف الرؤية عند الماديات أو تتعداها إلى الأفكار ؟ فقد يحدث أن يذكر الإنسان شخصاً ويذكر معه أمراً معيناً ، ولا يلبث أن يلقى الشخص الذي ذكره فيبادره هذا بحديث عن ذلك الأمر المعين بنفسه ، كما حدث لي مراراً ، وهذا مما يغري بالميل إلى الفكرة القائلة بحركة الأجسام والإشارات الصادرة منها والتي يلتقطها جانب ثان »

فالتمثيل بمحطات الإرسال ومحطات الاستقبال هنا تمثيل مقبول لتقريب التصور وسهولة التشبيه ، ولا مانع من اتصال النفوس على البعد وهي تتصل على القرب اتصالاً لا شك فيه ، فإذا اتفق أن نفسين توجهتا كلتاهما إلى الأخرى — في وقت واحد فذلك أحرى بتوافق الشعور وتوافق الخاطر ، والجزم بإمكان هذا أصح من الجزم بامتناعه إذا لم يكن بد من أحد الأمرين

يحدث كثيراً — كثيراً جداً — بين الصديقين المتفاهمين أن يطيلا الجلوس معاً صامتين ، ثم يعودا إلى الحديث فجأة فإذا هما يطرقان موضوعاً واحداً أو يسألان عن شيء واحد . ولو كان هذا الموضوع على اتصال بما كانا يتكلمان فيه قبل ذلك لقلت الغرابة في اتفاقها عليه بعد صمت طويل ، ولكنه يكون أحياناً بمعزل عن كل موضوع طرقاه ذلك اليوم

فما تعليل ذلك ؟

تعليله تقارب الشعور والتفكير ، وهما لا يتقاربان هنا بأداة مادية حتى يقال بالفرق بين حصوله في حجرة واحدة وحصوله على مسافة أميال

فإنكار هذا الاتصال أصعب من إثباته ، والقول بإمكانه قول تعززه احتمالات قوية ومشابهات مألوفة وروايات متواترة ، ولا يقف أمامها من ناحية النفي إلا مجرد الإنكار أو سوء فهم الواقعيات والماديات

وقد وصلنا في زماننا بالماديات إلى حدود الروحيات ، فانتقلنا بها من هذه الأجسام التي تلمس وتدرك بالحس إلى الذرات ، ثم إلى الطاقة ، ثم إلى الإشعاع الذي يدركه الفكر ولا تمسكه الحواس ، فمن الحيطة أن نقل من الإنكار بعد أن أسرفنا فيه ، وقد جاء زمان كان الإنكار فيه حسناً بعد إفراط الناس في الإثبات ، فهل ندور الآن دورة من تلك الدورات الفكرية المعهودة فنسرف في القبول بعد إسرافنا في الإنكار ؟

لا هذا ولا ذاك بالحسن المأمون ، وإنما الحسن المأمون أن نأخذ بدليل ونرفض بدليل ، وأن نعلم أن العجائب في الدنيا لا تنتهي فلا نغلق على أنفسنا بابها مختارين .

عباس محمود العقاد

يظهر قريباً

رياح المغيب

هدية الطبيعة للشعر العربي

محمود حسن اسماعيل